

۴-۴-۴. القرآن و استعمال اللفظ في اكثر من معنى واحد

مدخل شريف يرتبط بالكتاب العزيز و صف تمهيدى يناسب المقام

• ورد عن الحجة المصدق الامام الصادق - عليه السلام - : «لقد تجلّى الله لخلقه بكلامه ولكنهم لا يبصرون».

و التعبير بلفظة «الله» الدالة على الذات بما لها من صفات الجلال و الجمال - حسب ما هو المعروف عندهم - لا يخلو من اشارة الى جامعية الكتاب خلافا لما اذا قيل: «لقد تجلّى الرحمن» و نحو ذلك.

• في نهج البلاغه الشريف^۱: «ان القرآن ظاهره انيق و باطنه عميق لا تفنى عجائبه و لا تنقضى غرائبه...».

• و عن الامام الرضا عن ابيه - عليهما السلام - : «ان رجلا سأل ابا عبدالله - عليه السلام - ما بال القرآن لا يزداد عند النشر و الدراسة الا غضاضة؟ فقال: لان الله - تبارك و تعالى - لم يجعله لزمان دون زمان و لا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد و عند كل قوم غضّ الى يوم القيامة».

• روى في ذيل الكريمة * ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ *^۲ التفث لقاء الامام^۳: «قصّ الشارب و الاظفار»^۴: «الحلق و ما في جلد الانسان»^۵: «التفث تقليد الاظفار و طرح الوسخ و طرح الاحرام عنه»^۶: و عن عبدالله ابن سنان قال: اتيت ابا عبدالله - عليه السلام - فقلت له: جعلت فداك ما معنى قول الله: * ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ * قال: «اخذ الشارب و قصّ الاظفير و ما اشبه ذلك». قال: قلت: جعلت فداك فان ذريحا المحاربي حدثني عنك انك قلت: ثم ليقضوا تفتهم: لقاء الامام و ليوفوا نذورهم تلك المناسك؟ قال: صدق ذريح و صدقت. ان للقرآن ظاهرا و باطنا و من يحتمل ما يحتمل ذريح؟!^۷.

قال الشيخ الصدوق بعد نقله هذه الاخبار: «قال مصنف هذا الكتاب (رحمه الله) هذه الاخبار كلها متفقة غير مختلفة و التفث معناه كل ما وردت به هذه الاخبار»^۸.

والالتفات الى منزلة عبدالله بن سنان و ما قيل في ثنائه و مدحه قد يثير العجب بالنسبة الى مكانة ذريح. و يؤيد المفاد ما ذكره بعض الحكماء و الفقهاء في حق القرآن و هو:

۱. الخطبة ۱۸، ص ۷۵.

۲. سورة الحج: ۲۹.

۳. كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ۲، باب قضاء التفث، ص ۲۹۰، ح ۳.

۴. المصدر، ح ۴.

۵. المصدر، ح ۵.

۶. المصدر، ح ۷.

۷. المصدر، ص ۲۹۰ و ۲۹۱، ح ۸.

۸. المصدر، ص ۲۹۱.

«...فالقُرآن بمنزلة مائدة نازلة من السماء والارض مشتملة على اقسام الرزق و لكل قوم منها رزق معلوم»^۹؛ «...ان ارباب النفوس الكاملة يستفيدون من الآيات الشريفة ما لا يخطر ببال المتوسطين فضلا عن العوام و ارباب النفوس الناقصة. فالبطون السبعة او السبعون اشارة الى اصول المراتب الكمالية لنفوس البشر التي باختلافها يختلف مراتب الاستفادة من الآيات القرآنية»^{۱۰}.

و في امتداد ذلك ما ذكره السيد الحكيم عن المحقق النائني من تفسير الولي الاوحدى الملا فتحعلى السلطان آبادي^{۱۱} الآية السابعة من سورة الحجرات و هي * وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ... * كل يوم بتفسير استغربه الحضار و هو من فحول الرجال في عصرهم . و الكريمة من محكمات القرآن لا من متشابهاته.

• روت العامة عن ابى عبدالله الصادق - عليه السلام - انه قال : «كتاب الله على اربعة اشياء: العبارة و الاشارة و اللطائف و الحقائق. فالعبارة للعوام و الاشارة للخواص و اللطائف للاولياء و الحقائق للانبياء...»^{۱۲} و الطريف المذكور في هذا القول العزيز التعبير بالاشياء مكان التعبير بالاقسام.

• و في عديده من الروايات ورد ان للقرآن بطونا و لاياته تأويلات و ان مفاد فقرات القرآن غير مقصور على اهل زمان واحد بل لكل منها تاويل يجرى في كل اوان و على اهل كل زمان.

• عن جابر قال: سألت ابا جعفر - عليه السلام - عن شىء من تفسير القرآن فاجابنى . ثم سألت ثانية فاجابنى بجواب آخر. فقلت: جعلت فداك! كنت اجبت في هذه المسألة غير هذا قبل اليوم؟! فقال لى يا جابر! ان للقرآن بطنا و للبطن بطنا و للظهر ظهرا و للظهر ظهرا... ان الآية لتكون اولها في شىء و آخرها في شىء و هو كلام متصل يتصرف على وجوه»^{۱۳}.

• في آخر : «...ظهره تنزيله و بطنه تاويله . منه ما مضى و منه ما لم يكن بعد...»^{۱۴}.

۹. الاسفار الاربعة، ج ۹، ص ۳۰۱.

۱۰. نهاية الاصول، ص ۵۶.

۱۱. لاحظ حقائق الاصول، ج ۱، ص ۹۵ و ۹۶. و العجب ان السيد الحكيم ارسل الخبر بعدم ذكره من حدّته و اكتفى بقوله: «حدث بعض الاعاظم - دام تاييده -» و مراده من هذا البعض: المحقق النائني. و سألت عند آخر عيادتي للاستاذ محمد تقى الستوده - رحمه الله - عن قصة بينه و بين السيد الحكيم ترتبط بهذه الواقعة فقال: كتبت الى السيد الحكيم عن هذا البعض فكتب انه المحقق النائني . و بذلك فالخبر يخرج عن الارسال و يدخل في المسند. و الاسف ان الحضار مع كونهم - او جلّهم - من اصحاب القلم لم يكتبوا شيئا مما ذكره هذا الاوحدى و لنعم ما قيل في الاصل والعكس :

من كه ره بردم بگنج حسن بی پایان دوست
تا نگردي آشنا زين پرده رمزی نشنوی
صد گدای همجو خود را بعد از این قارون کنم
گوش نامحرم نباشد جام پیغام سروش

۱۲. ابوالحسن العاملى الاصفهاني، مقدمة تفسير مرآة الانوار و مشكاة الاسرار ، ص ۱۷

۱۳. المصدر، ص ۴.

۱۴. البرهان في تفسير القرآن، ج ۱، ص ۲۰.